مفهوم الدين قبل الزحف : رؤية حول مفهوم الدين الشامل

كيف يمكن فهم طريقة زحف الدولة على الدين، زحفًا غير مقدس، محاولةً احتكار مساحته أو تلوينها أو تهميش فعالياته؟

إن هذا فقط لا يمكن أن نتفهمه إلا إذا حددنا مفهومًا للدين يشمل كل فعاليات الحياة والمعاش، فيصير زحف الدولة على الإنسان والكيان، المواطن والمواطنة، وكل فعالياته، زحفًا على الدين، لأن الدين شبكة من المقاصد الكلية لحفظ أصوله وحفظ النفس والنسل والعقل والمال.

«يكون الدين إيمانًا بالله يعمر دنيا الناس، وعقيدة تخلق حضارة، وعبادة تربِّى مجتمعًا». الدين: انطلاق للحياة والسلوك والتشريع، دون أن ينحصر فى مجموعة من الكلمات والتقاليد والمظاهر الجامدة المتنافية التى تضمها الأوراق وتتناولها الشفاة. . . . دين الحياة، دين للواقع.

ومن هنا لا تقبع سمات المؤمنين فوق جباه المصلين فى المحاريب دون غيرها، بل تتلألأ فى بحوث العلماء وخيرات المنتجين. . وجهود المبدعين. إنه الدين الذى يخلق حضارة فى كل أرجاء الحياة، حضارة تتجدد وتتطور كلما تتابعت الأجيال وتطورت البيئات، لا مجرد رسوم وتعابير هامدة تكرر نفسها دون جديد. .[11]. إنه فاعلية الفاعلين، وتراكم جهود المجتهدين والمجددين والمصلحين.

إن الصالح فى ذاته، لا يمكن أن يحقق خلاصًا فرديًا، من دون الشروع فى تحقيق الإصلاح الجماعى. إن صلاحه فى إصلاحه، فيكون صالحًا فى ذاته، مصلحًا لغيره ولجماعته ومجتمعه.

إن المنزوى فى جنبات المسجد لا يتحرك نحو عمران الحياة، لا يتعرف أصول الصلة والوصل بين عمارة المسجد وعمارة الكون، إنه لا يقل علمانية عن ذلك الذى يراه

منعدم الصلة بعمارة الحياة. إن مقولتى عمر بن الخطاب الشهيرتين: «أخوه أعبد منه».. «لا تُمت علينا ديننا» لتعبران بحقٍّ عن الأصول العمرانية فى السعى والوعى وتحقيق معانىَ استخلاف الإنسان وأصول العمارة الكونية، وهو تحر لفاعلية الناس فى الكيفية التى تكون بها الأرض مسجداً. هكذا كان من اختصاص هذا الدين أن «جُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»، هذا الجعل فى الأرض المسجدية، يعنى أن جوهر الاستخلاف أن تجعل هذه الأرض ضمن العمارة المسجدية، والطهارة الإنسانية فى فعل العمارة الكونية.

يخطئ من ينسى أن يستمد من الدين انطلاقة الحياة: (الدين المعاملة)، ليعكف على ألفاظ وحركات تدفع إلى الحياة، لكنها تتجمد وتتفتت عند من يرى أن التمتمة ذاتها وأن الشعائر نفسها هى الدين وهى الحياة.

... إذا نزلت بلداً فلا تسأل عن زوار المعابد (فحسب)، فما أسهل أن تؤدى الصلوات ... ولكن.. اسأل عن عدد المؤمنين الذين دفعتهم عقيدتهم، وذكَّرتهم عبادتهم، فانطلقوا يمشون فى مناكب الأرض يبتغون من فضل الله، فإذا منهم علماء عبدوا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ببحث نواهيه فى خلقه، والإفادة من قواه المودعة فى عوالمه، وإذا منهم «مبدعون» انعكس جمال الكون على جمال نفوسهم وطهرها، فسبَّحوا بسعيهم وكتاباتهم وأقلامهم ربّا برأ النفوس وفَطَرَ الأكوان، وعمروا المساجد والأرضَ فصار الكون أرضًا مسجدية فى الوعى والسعى، وطهوراً فى الساحة والفعل.

وهكذا تكون الأرض كلها مساجد يُعبد فيها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالكلمة الطيبة والقول الثابت، بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١١٥][١٢].

إن حبس الدين فى زوايا الصلاة وحبس الصلاة فى أوقاتها بإغلاق المساجد ليس إلا تعبيراً يضاد معانى «**جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً**»، وحبس الدين فى زوايا الصحف أو زاوية لكاتب أو صفحة دينية، هو حبس للدين وفاعلياته الممتدة فى عقول وسلوك البشر، وسجنه فى برامج فى الإذاعة المسموعة أو المرئية ليس إلا أسراً للفاعليات الدينية، واختيار ما لا يحسن لخطاب الناس وفى الأوقات الميتة، ليس سوى صناعة تشير إلى عبقرية الفشل وربما الإفشال.

إن تحجيم الفاعليات الدينية أو تهميشها، تلوينها أو اختصارها، حرقها أو الاستيلاء عليها، هو قمة تحريك الدوائر من سلطان الدين إلى دين السلطان، وربما يجعل هذا الأمر إعادة تعريف الدين (الإسلام) في هذا المقام، من الأمور المنهجية، وكما يقول المناطقة: إن إدراك الشيء فرع عن تصوره.

إذا كانت المقاصد الكلية العامة إنما تشكل كيانًا معرفيًا وبحثيًا ومنهجيًا، ومساحات للتعامل والتناول، فإن المقصد الديني (**حفظ الدين**) هو رأس المقاصد، والمقاصد الأخرى هي مقاصد مكونة لبنية «**عمران الإنسان**» أو بناء البشر من مقصد «**حفظ النفس**» و«**النسل**» و«**العقل**» و«**المال**»، وما تشير إليه تلك القواعد من «**عمارة البيت الإنساني**»، من أعمدة أربع تشكِّل ما يشد بنيانه، وما يقيم أسسه، ضمن عناصر ما يطلق عليه «**التنمية البشرية**» أو «**التنمية الإنسانية**» أو «**العمران البشرى**» - على حد تعبير ابن خلدون، أو «نوعية الحياة» على حد تعبيرات تقارير التنمية الدولية، أو «**الحياة الطيبة**» أو «**المعيشة الضنك**» على حد ما يعبر عنه القرآن.

وهو حفظ الإنسان والكيان، وهو حفظ الابتداء، وحفظ النسل والاستمرار، وهو حفظ البقاء، وحفظ العقل بما يضمن عملية النماء والارتقاء، وحفظ المال بما يضمن القيام بعمليات الحفظ في البناء والتسخير. والحفظ في كل هذا هو حفظ أداء يحرك فعاليات التسيير والتدبير والتأثير، والفاعلية والتمكين[١٣].

مستويات بعضها من بعض تخرج من مشكاة الدين والالتزام بفعالياته وأوامره ونواهيه.

هذا الحفظ القائم الفاعل الملتزم، الحفظ الرافع الدافع الجامع، القاضي والحاكم والحاضن، الحافظ لكل فعل ممكن يسير به في مسار الإمكان والتمكين.

إلا أن حفظ هذه المقاصد، وتنوع أشكال ووسائل حفظها، لا يعني الوقوف عند الحفظ بإطلاقه، ولكن يجب الحفظ بمراتبه وأولوياته، من «**ضروري**» يفضي عدم الاضطلاع به إلى الهلاك، و«**حاجي**» يؤدي عدم الوقوف عليه إلى الحَرَج والعُسْر، و«**تحسيني كمالي**»، تكمُل به الأشياء وتحسُن. إنها عملية إحسانية وإتقانية مستمرة، راغبة من خلال التكميل، هادفة إلى الكمال، وإن لم تبلغه، قاصدة له حسب الطاقة

والاستطاعة، فى حدود الوُسع الصادق لا الكاذب أو الزائف، أو وُسع الهوى المفضى إلى القعود أو القنوط.

هذه الرؤية المقاصدية الكلية للدين تجعل من هذه المساحات كلها، واقعة فى فعل وتفعيل وفاعلية الدين: (دين متَّبَع، ونفس مكرَّمة، ونسل قوى فاعل ومؤثر، وعقل واعٍ ومدبِّر، ومال يشير إلى خصب الزمان وحركة العمران). هذه منظومة الرؤية المقاصدية الكلية العامة الشاملة للدين[١٤].

***

obeikan.com

المواطنة من المنظور المقاصدى
فاعليات المواطنة من دون استعباد الدين

التأسيس المقاصدى للمواطنة	مراتب المقاصد / مجالات المقاصد	دفع الضرر- مقدم على جلب المصلحة	الضرورى	الحاجى	التحسينى	عناصر التقييم
المواطنة والدين	حفظ الدين سياسات- مؤسسات علاقات- قدرات إمكانية- غايات	دفع مضرة- حفظ سلبى	ضرورات - المواطنة (الكفاف)	حاجيات المواطنة (الكفاية)	تحسينيات المواطنة (التكميل- الإحسان)	رجوع الافتقار / رجوع الاستظهار
		جلب مصلحة- حفظ إيجابى				
المواطنة وحقوق الإنسان الأساسية	حفظ النفس					
المواطنة والتنمية الإنسانية «عمران البشر»	حفظ النسل					
المواطنة والوعى	حفظ العقل					
المواطنة والمعاش	حفظ المال					

obeikan.com